



برنامج (أخلاق اجتماعية)

الدكتور محمد خير الشعال

<http://dr-shaal.com>

الحلقة العشرون: الكذب

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً، أرنا الحق حقاً وارزقنا اتّباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك، وبعد:

أرحّب بكم -أيها الإخوة المستمعون- في برنامجكم "أخلاق اجتماعية"، نتدارس فيه بعض الأخلاق الاجتماعية، الإيجابية منها والسلبية، لنبيّن حسنّها، ونحذّر من قبيحها وسيئها.

● مدينة الكذابين:

قرأت قصة في بعض كتب الأخلاق اسمها: "مدينة الكذابين":

كذاب ساقته أقداره إلى مدينة الكذابين دون أن يعلم شيئاً عن حقيقتها ولا عن حقيقة من فيها، وحين وصل إليها وجد نفسه شديد الجوع، منهك القوى، قلق النفس، مضطرب الفؤاد، يريد طعاماً ومناماً وطمأنينة.

فأخذ يبحث عن مطعم يأكل فيه، وعن فندق يأوي إليه، وقال في نفسه: سؤال أهل المدينة أقرب طريق يوصلني إلى مطعم وفندق، فرأى رجلاً وسيماً، فقال له: يا سيدي، هل تعرف مطعماً نظيفاً جيد الطعام ترشدني إليه، فإني غريب؟ فقال له الرجل: امض في هذا الشارع، فإنك ستجد بعد نحو نصف ميل منعطفاً على اليمين، فتابع المسير في هذا المنعطف فإذا سرت نصف ميل آخر وجدت المطعم الذي يسرّك. قال: فما اسم هذا المطعم؟ قال: اسمه "مطعم الليل الضاحي".

فسار الرجل وفق البيان الذي تلقاه، وأخذ يبحث عن مطعم الليل الضاحي، فلما قطع المسافة الأولى فلم يجد منعطفاً على اليمين، إلا أنه وجد منعطفاً على الشمال، فمضى لعله يجد منعطفاً

على اليمين، إلا أنه لم يجد، وقد كاد يصل إلى آخر المدينة، فرجع أدراجه وقال في نفسه: لعل الرجل قد أخطأ فأخبرني أن المنعطف على اليمين وهو يريد أن يقول لي: إن المنعطف على الشمال!!

فرجع وسار في المنعطف الذي على الشمال حتى بلغ آخره، ولم يجد مطعم الليل الضاحي، وعندئذ استوقف رجلاً عجوزاً فقال له: يا سيدي، أنا رجل غريب، وإنني أبحث عن مطعم وفندق، وقد سألت في طريقي رجلاً وسيماً، فدلني على مطعم الليل الضاحي في هذا الشارع، وأخبرني أنه مطعم نظيف جيد الطعام، وأنا أبحث عنه منذ ساعة، فلم أعر عليه، فضحك العجوز ضحكة هرمة مضرسة خبيرة، وقال له: إن مطعم الليل الضاحي في أقصى المدينة الشرقي، إلا أنك إذا وصلت إليه وجدت مكتوباً على عتبة بابه: مركز إطفاء المدينة، فسأله عن مطعم آخر، فقال له: ليس في الناحية مطعم ولا فندق، وكل مطاعم المدينة وفنادقها في أقصاها الشرقي، فاركب في هذه المركبة العامة، وانزل في محطة نفق الأنفاق، فهناك أقصى المدينة الشرقي، وهناك تجد طلبك!!

فاستجاب الرجل سريعاً إلى نصيحة الرجل العجوز، فركب في المركبة قاصداً محطة نفق الأنفاق، ثم أخذ يسأل في المركبة وهي سائرة عن المحطة فيضحك الناس من سؤاله، فقال: أليست هذه المركبة سائرة إلى أقصى المدينة الشرقي فاستغرقوا في الضحك، وهم يقولون: بل هي سائرة إلى أقصى المدينة الغربي!!

فنادى: يا أيها الناس، دلوني على مطعم وفندق، فإني غريب جائع منهك القوى، فجعل كل واحد منهم يده دلالة مخالفة لدلالة الآخرين، وراح في أمره، وضاق ذرعاً بنفسه وبكل من حوله، ثم رمى بنفسه من المركبة وانطلق هائماً على وجهه، وخرج من المدينة وهو يقول: لعن الله الكذب والكذابين، وإن مجتمعاً يسود فيه الكذب مجتمع عذاب وشقاء. وأعلن توبته من الكذب وأدرك ضرورة الصدق للمجتمعات الإنسانية، وكان دخوله إلى مدينة الكذابين سبب توبته ووسيلة تربوية له.

الصدق: هو قول الحق، وهو القول المطابق للواقع والحقيقة، والكذب خلافه.

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اضمنوا لي ستاً من أنفسكم أضمن لكم الجنة؛ اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم». [أحمد]

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: «إذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلاً من نتن ما جاء به» [الترمذي].

وعن سفيان بن أسيد الحضرمي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تَحْدِثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ بِهِ مَصْدَقٌ وَأَنْتَ لَهُ بِهِ كَاذِبٌ» [أبو داود].

وأفضل الصدق وأكمله الصدق مع الله:

قال ابن القيم في مدارج السالكين: (الصدق منزلة القوم الأعظم، الذي منه تنشأ جميع منازل السالكين، والطريق الأقوم، الذي من لم يسر عليه فهو من المنقطعين الهالكين، وبه تميز أهل النفاق من أهل الإيمان وسكان الجنان من أهل النيران..).

وقال الله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا مَرْضَى

اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَرْضَاؤُهُ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ [المائدة: 119]

جاء رجل من الأعراب إلى النبي ﷺ فأمن به واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غَنِمَ النبي ﷺ سبياً فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: قسمته لك، قال: ما على هذا اتبعتك، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا -وأشار إلى حلقه- بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: إن تصدق الله يصدقك، فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي ﷺ أهو هو قالوا نعم قال صدق الله فصدقه ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ ثم قدمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك. [النسائي].

قال سبحانه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدِيلًا *

لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿ [الأحزاب: 23]-

[24]

وكما يكون الصدق والكذب في الأقوال يكون في الأفعال، وكما يكون الصدق في الأفعال أبلغ أثراً، يكون الكذب في الأفعال أشد خطراً.

ومن كذب الأفعال والأقوال فعل إخوة يوسف وقولهم: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ * قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿يوسف: 16-18﴾

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ * كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿الصف: 2-3﴾

• عقاب الكذب:

وعن سمرة بن جندب ـ قال: «كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: هل رأى أحد منكم من رؤيا؟ فيقص عليه من شاء الله أن يقص وإنه قال لنا ذات غداة: إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما قالَا لي: انطلق، وإني انطلقت معهما.... فأتينا على رجل مستلق لقفاه وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شذقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه، فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى.

قال: قلت: سبحان الله، ما هذان؟ قالَا لي:.... فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق». [البخاري]

والإنسان مفطور على الصدق لكنه يتعلم الكذب من طرق عدة، منها:

- 1- **البيئة:** لذلك قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 119]
- 2- **الاعتیاد بالترار:** فالخير عادة، والشر عادة، قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً» [متفق عليه]،

3- مؤثرات الأهواء والشهوات: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: 53]،

لذلك لا تسمح لنفسك أن تدعوك للكذب، وأوبها وهذبها بالصوم والصدقات والنوافل.
يا أيها الإخوة : المؤمن الحق لا يكذب: ودليل ذلك: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَادِبُونَ﴾ [النحل: 105]

قال رسول الله ﷺ: «يُطَبِّعُ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ». [أحمد]

وسئل رسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ فقال: «نعم» ف قيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ فقال: «نعم»، ف قيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ فقال: «لا». [الموطأ].

وقال أبو الدرداء ؓ: يا رسول الله، هل يسرق المؤمن؟ قال: «قد يكون ذلك». قال: فهل يزني المؤمن؟ قال: «بلى، وإن كره أبو الدرداء» قال: هل يكذب المؤمن؟ قال: «إنما يفتري الكذب من لا يؤمن». [الطبري في تهذيب الآثار]

إلى لقاء آخر في برنامجكم "أخلاق اجتماعية" أستودعكم الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته